



الابتسامة المرة

مفارقة! ماضيها يرفض التعايش مع حاضرها

دبساي

debasy@hotmail.com

هنالك حقيقة الكل يعلمها وهي بأن الشعب الإرتري وبعد أن حقق استقلاله بدأ يعيش في حالة دائمة من التحول والنشاط والعطاء، وهذه الحالة تنفي عنه تماماً صفة الجمود والتراخي في إنجاز المزيد، من هنا كان يجب أن ندرك لحقائق الواقع المعاش لشعبنا لو أردنا حقاً أن نوجد الأسباب والعوامل التي كانت وراء هذا الإخفاق الذي بدأ يهدد سلامة المكتسبات الوطنية.

لا أحد يستطيع أن ينكر بأن المعارضة تمر بتطورات تاريخية خطيرة، كما تواجه تحديات صعبة، ولمواكبة هذه التطورات وفي هذا المنعطف السياسي الدقيق الذي يعيشه شعبنا ومعظم قواه الاجتماعية والسياسية والثقافية يجب ترميم آليات الحوار للوقوف بمقتضاه أمام التحديات الداخلية – والإقليمية – والدولية، وانعكاساتها المباشرة من خلال التطرق لخلافات الأمس، للوصول إلى ضرورات المستقبل المشرق.

عقلية المحاور وقابليته لتطويع اللغة من أجل الفائدة جزء مهم من أدب الحوار، بالرغم من أن المسألة ليست سهلة كما يتصورها البعض أي الحوار، فنحن جيل مقموع وملء بعقد الاضطهاد والتعسف والظلم والكبت وكتم الرأي الآخر، ولم نشهد انفراجاً لنبدأ خطواتنا الأولى، لكنها بالتأكيد ليست مستحيلة، ربما سنحقق في العديد من الخطوات، لكن مع كل إخفاق نرسم تجربة ونؤشر دلالة على عمق ما سنرسمه للمستقبل الذي ستعيشه أجيالنا القادمة.

ليس ثمة خجل من المطالبة بالحق وبوضوح، كما ليس هنالك وجل من التراجع عن خطوة خاطئة تجاه حق الآخرين! لأن التعنت لا يخدم مصلحة شعبنا، والاحترام الفكري المتبادل البعيد عن لغة الاتهامات والتخوين والإقصاء هو المطلوب في هذا الظرف التاريخي الذي ستتحدد فيه ملامح المستقبل.

في هذه الأيام الأجواء السياسية على الصعيد الإرتري حبلت بالكثير من القضايا الساخنة والمفاجآت، على صعيد الدولة وصراعها الداخلي والإقليمي من جهة، وعلى صعيد المعارضة وعدم التوافق في إنشاء منهجية مقنعة من جهة أخرى! كل هذه الأشياء تشير إلي عدد من الاحتمالات الغير مبشرة والمتعلقة بمستقبل الشعب الإرتري. وفي اعتقادي لم تعد الأزمنة الأخيرة بين تنظيمات التحالف قابلة للإنصات لصوت الدعوة للتوافق كما يتوقعه البعض، ولم يعد يدرج هذا الصراع بعد اليوم إلى الفهم الذي تسيد وعينا لفترة طويلة حيث تعودنا أن نبرر خلافاتنا بقصد إيجاد الحلول لها مرددين بأن ما حصل هو " صراع من أجل مزيد من الانفتاح على كل المستويات أو اختلاف في نوعية وسيلة التغيير " مغفلين تماماً بأنه: صراع له علاقة بمفردات التعايش التاريخية وحراك

الحضارات في رحمها! ومن ثم الانتقال بمفاهيم أكثر جرأة نحو مستقبل الكل يحاول أن يجد في إطاره مساحة ليمارس فيها طقوس وطنيته بكل سلبياتها وإيجابياتها كما يحلو له، وهو أبسط حق يستحقه كل فرد وجماعة. وليس لأحد حق إعاقة هذا الوعي التاريخي تجاه خاصيته! شرط أن يتفق هذا الحراك وهذا الوعي مع المصلحة العامة وأن تتم المناورة لتحقيق ذلك ضمن الحق الإنساني المكفول للفرد والجماعة إرتياً.

هذا التحالف الخارج من عباءة المماثلة، يبحث حتى الآن عن ذاته، وعن هيكله، دون أن يسعى جدياً إلى إعادة النظر في هيكلته، أو أن يمتلك القدرة على نفض غبار الزمن عن خطابه الوجودي، أو آليات ممارساته بما يتوافق مع الراهن الإرتري الذي اختلف تماماً عن الماضي أو ينسجم مع المعطيات الخارجية التي تمر بها المنطقة، سواء تداعيات القطب الواحد وما تلاها من حرب على "الإرهاب"، وما ألحق بها من مشروع القرن الإفريقي الكبير، وما نتج عن الاحتلال الأمريكي للمواقع الإستراتيجية في المنطقة لمراقبة الشواطئ والقريبة من آبار النفط في الشاطئ الآخر للبحر الأحمر وإقامة قاعدة تجسسية في جيبوتي، أو القرارات الصادرة والمهددة للسودان وملحقاته، وإعطاء إثيوبيا صلاحية قيادة المنطقة! وبالرغم من هذا ربما للبعض التحالف هو البوابة التي سيأتي من خلالها شعبنا عالم التغيير.

كل هذه المعطيات الراهنة تحتاج إلى قراءة سياسية واعية ومتجددة يجب أن تستجيب لها القوى السياسية المكونة للتحالف ومن هم خارجه، سواء توافقاً أو تعاكساً، وفي الحالتين، يعتبر من مهمات هذه القوة السياسية التي يتكون منها نسيج المعارضة أن يكون لها برنامجها الخاص، أو قراءتها الخاصة لما يحدث في المنطقة، حتى لو كان ذلك لربط المصلحة القومية بالمتطلبات الإستراتيجية، وأن لا نبعد السياسة الإقليمية والدولية عما يدور من معطيات في فلننا صغيرة كانت أم كبيرة! لأن الأمور متصلة ببعضها. بمعنى أن المعارضة الإرترية لا زال برنامجها السياسي في أدنى مستوياته، ولا يخرج عن إخراجات وعي محلي محدودة، متوافقة مع مطالبات نظرية أكثر منها أسلوب أو آليات عمل تسعى لتطبيق ما تؤمن به!.

وأعتقد بأن هناك الكثير من الرؤى السياسية في خطاب المعارضة لا زال رهين مجمل تصوراتها الماضية، والتي تشكل ذخيرة حُلُمية تستوطن العقل الباطن في مخيلتها، ولولا وعيها لا زال خيالياً لما إعتدده هذا السلوك للاختلاف، أي خلاف ينطلق من منظومة كيفية استلام كل فريق السلطة فقط، دون أن يكون لهذا الطرف أو ذلك آلية سياسية تعيشية. فلا زالت حتى الآن تتغاضى عن كونها معارضة بمعنى مفهوم المعارضة، أي يجب أن تعي بل ومن الضرورة: بأن تداول السلطة هو الناظم لوجود أية معارضة، وهذا لا يشكل سوى المشاركة في عمل وطني تلتزم به القوى التي يتألف منها هذا الكيان يكون فيه الاتفاق على المصلحة الوطنية، والاختلاف على كيفية خدمة هذه المصلحة!

يعني إيه لو ترأس المرحلة عبد الله آدم، أو حسين خليفة، أو بشير إسحاق، أو آدم بلماح حجج وهمية لا تمت بصلة لنقطة الخلاف! بالرغم من أن الخلاف أكبر وأعمق مما ننصوّر وموجود في التفاصيل! وأناشد المثقف الذي ألمه الحدث أن يترث ويتعقل ويبعد عن الكتابات والتحليل العاطفية حتى لو كان موقفه حيازياً تجاه طرف من الأطراف أو مؤطراً، وأن يدرك بأ الخلاف في باطنه خطير أكثر مما ننصوّر له ربط تاريخي ومفارقة ماضيها يرفض التعايش مع حاضرهما! من المؤكد هذه الظواهر الخلافية سيحاول البعض الاستفادة منها بقدر كبير.

عزيزي القارئ: نظراً للتحويلات السريعة ومواقف المصالح التي يتطلبها الظرف في منطقتنا (القرن الإفريقي) نجزم أحياناً بأن العوامل الداخلية والخارجية بوضعها الحالي قد تجبر أسمرًا في لحظة تاريخية على التراجع هنا وهناك من مواقفها الراضية للإقرار بواقع يسمونه (المعارضة) حتى لو كان ذلك لتعثير المشروع الإثيوبي الطامح لإسقاط

نظامها!! لكن لوجود مشاهد صراعية في داخل المعارضة وتجربة التحالف نفسها، بالتأكيد سينتج ذلك مشهد تدرك من خلاله أسمرا بأن ما يحدث اليوم في المعارضة وطبيعة الموقع الذي اختارته لممارسة خلافها (إثيوبيا) وخلفية المعلومة الإستراتيجية التي تملكها مسبقاً نحو منهجية الخطاب السياسي الذي تتطلبه المرحلة كلها أشياء قد تقوي النظام في الداخل وتعزز إستمراره للبقاء في السلطة لأطول وقت ممكن!! .

أيضا لو هنالك تفكير في مشروع حوار تأتي به الظروف الإقليمية ومساومات دول المنطقة بين بعضها البعض لمعالجة القضايا التي أرهقتها وربما يفرضها الطرف الدولي بين القوة السياسية الإرترية المعارضة والجبهة الشعبية الحاكمة، فسوف لن تكون هذه المحاولات خارج منهج المساومة بالمبادئ كما هو مألوف نظرا لغياب آليات الانتقال في الخطاب السياسي للمعارضة ولوجود اتجاهات سياسية أصبحت متكررة!.

لذا يجب أن تتجه كل الهموم وتركز حول معالجة كل الأزمات العالقة بين قوى المعارضة تفاديا لتكرار تجارب سابقة نعاني من رواسبها حتى الساعة، وأن يكون أي بحث لمعالجة الأزمة من خلال أطراف متكافئة ومتساوية، أي على أساس المواطنة المتساوية والافتسام العادل لكل الفعاليات، لأن ما نراه اليوم هو انعكاس طبيعي لممارسات تجسدت فيها العلاقة بين المعارضة وسيناريوهات الأزمة وذلك من جراء استباحة كل طرف حقوق الآخر بحجج تعيق نمو الفكر السياسي لهذه المعارضة، حيث هنالك نظرة شمولية تمثل ثقافة البعض ووعيهم تجاه متطلبات القوى الاجتماعية والسياسية والثقافية وأحيانا بالتركيز على القراءات الخاطئة لدولة المقر (إثيوبيا) وتعود أسباب هذه السلوكيات لبعض قيادات التحالف لندرجيات وهمية ربما تتحطم في صخور مقلي وأكسوم وعدوا أي المرحلة التي اختاروها لممارسة الخطأ المتعمد كتجربة وفترة في أديس أبابا كان عنوانها وتوقيتها غير موفقين، حتى لو كان الصراع الأخير هو صراع في سلطة ومكاسبها بين جناحين ومدرستين فإننا لا نتفق مع الرؤية التي تقول الحل هو من اختصاص القيادات المختلفة نفسها، أي حسب التركيز الذي ورد في الرسالة الموجهة من كل طرف إلي الشعب الإرتري.

ولو كان هذا هو الفهم السائد للمعالجات، إذا اللقاءات الجماهيرية المتتالية بين العواصم وبين أوساط الجاليات الإرترية ما هي إلي مطلب تكتيكي مرحلي لاستقطاب أوسع قطاع من الجماهير لمناصرتهم في مواجهة كل طرف للآخر، وهو بالتأكيد حق غير مشروع أقلها في هذه المرحلة المؤلمة.

لأنه وأمام حالة التحالف الوطني الذي تتكون منه المعارضة الإرترية كغطاء حد أدنى، والمشعبة بجذر إقصائية، يتطلب أن تمتلك فيه هذه المعارضة عقلية قبول الاختلاف، مما يستوجب تغييراً في الجذر المعرفي لها وآليات التركيبية الاجتماعية للشعب الإرتري والآلية التي تعالج به كل الأزمات والقضايا الداخلية بطرح مجتمعي، يوظف الفعاليات المجتمعية، ويساهم في تشكيل قوى ضاغطة تؤمن بهذا البرنامج، وتسعى إلى تحقيقه عبر الممارسة السياسية التي تؤمن بحق الآخر بكل معنى الكلمة وليس من أجل المناورة، أي يحتاج الأمر إلى ثقافة سياسية من نوع مختلف عن السائد، السائد بما هو نتاج استبداد ومشاحنات طويلة الأمد، حيث تحتاج هذه الثقافة المطلوبة إلى ركائز سلمية، برنامجية، منهجية تعلوها روح التسامح وإقبال ملف الماضي بعبارة الماضي عند العقلاء يطوى.

كما بالضرورة يجب أن تخرج المعارضة الإرترية من الركام، وأن توقف ادعائها المفرط لبطولات وهمية ستحققها وهي مختلفة، لكون الخطاب السياسي الجاد دائماً يعبر بدلالاته عن رؤية المعارضة الحقيقية المتوافقة، وهي الرؤية التي لم تنضج بعد في التحالف، سواء لجهة ميراث أصحاب قمع الماضي وتراكماته وضرورة تجاوز تداعياته، أو لجهة إنتاج خطاب عقلاني، نابع من الأرضية الإرترية، ويهتم بالشأن الإرتري وبهموم

ومشاكل المواطن المغلوب على أمره، نتيجة تغييبه عن ساحة الفعل السياسي الحقيقي، وإقصائه عن المساهمة أو المشاركة في قضايا الشأن العام التي تعنيه مباشرة.

عزيزي القارئ : لقد جننا وأبصرنا في عالمًا قاسيًا - وكل خطوة نخطها لا تأتي بغير الألم ، وبدأنا نعتبر المأساة من صميم وجودنا الإنساني تطوينا علي ذاتنا، لتحول إرثنا من النضال والانتصار وصيانة الذات والكبرياء إلي وهم خبيث ندرج بمقتضاه في قائمة الشعوب التي فقدت الذاكرة .

وشكراً